شعر

عبد اللطيف يوسف

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أوالتسجيل أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية إلا بإذن مكتوب من الناشر.

دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

الإسراف والتقتير داءان عضالان، ما أصابا أمَّةً من الأمم إلا أهلكاها، وما حلاَّ بمدينة من المدن إلاَّ دمَّراها، وقد وصف الله سبحانه وتعالى المبذرين بوصف مُشينٍ حين جعلهم في منزلة الشياطين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧] كما بيَّن جلَّ شأنه أنَّ المقترين وأهل الشحِّ ليسوا من أهل الفلاح فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

أمَّا رسول الله ﷺ فقد حذَّرنا من التبذير وإضاعة المال في قوله: «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة

السؤال وإضاعة المال»[١] .

كما حذرنا صلوات الله وسلامه عليه من الشحِّ في قوله: «إياكم والشُّح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٢] .

ومما ورد في تاريخ الأمم أنَّهُ قبيل انهيار الامبراطورية الرومانية أنذر الفيلسوف الروماني «كانون» قومه من خطورة ما حلَّ بهم من الإسراف والتقتير فقال: «يا أيها الرومان: لقد سمعتموني كثيراً ما أشكو من إسراف الرجال والنساء والعامة والمشترعين أيضاً، ولقد سمعتموني كثيراً ما أقول: إنَّ الجمهورية مصابةٌ بداءين متناقضين: البذخ والشح.. وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأساً على عقب»[٣] ولكنَّ نداء الفيلسوف الروماني ذهب مع الريح لأنه لم يلق آذاناً صاغية، ولم يلق عقولاً واعية، فانهارت دولة الرُّومان وأصبحت أثراً بعد عين.

وهاهو التاريخ يعيد نفسه.. وهاهي البشريَّةُ قاطبة تعيش في هذا العصر حياة ماديَّة مليئة بالإسراف والتقتير، بالبخلِ

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) عن دائرة المعارف لفريد وجدي ٨/ ٦١٨.

والتبذير، بالبذخ والشح.. وما الاستعمار الحديث إلا نتيجة من نتائج ذلك التكالب المادِّيَ الرهيب..

وإننا نحن المسلمون أوَّلُ من يُسألُ عن تغيير هذا المنكر الذي يكاد أن يودي بحياة البشريَّة، وإلاَّ فماذا ننتظر غير الدَّمار والهلاك ؟.. قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

«المؤلف»

يا قادة الغرب

قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦ـ١٩٧].

يا قادة الغرب هل في الغرب تفكيرُ ؟
في واقعِ النَّاسِ أو للذنب تكفيرُ ؟
أشقى نساءكمُ لؤمٌ وتقتيرٌ[١]
والمالَ أفسدهُ شحٌّ وتبذيرُ
قالوا حكمتم بلاد الأرضِ قاطبة
هل باتَ يُعجزكم للنفسِ تدبير ؟
قارون[٢] قدوتكم والجمعُ بغيتكم
والأرضُ جائعةٌ والوقتُ تخديرُ

* * *

(١) ذلك بما كلفوا نساءهم من الأعمال والوظائف التي لا تليق بأنوثتهن.

(٢) هو الطاغية الذي ابتلعته الأرض وقد وردت قصته في القرآن الكريم.

مدينة تدمر[1]

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩].

أتدمرُ أين من سكن القصورا
وكان غداتها البطلَ الخطيرا
تذلُّ له العبيدُ ويزدريها
ويفترشُ الوسائد والحريرا
خلا منهُ الزَّمان وصار درساً
لمن يخشى ومن زار القبورا
فيا عجباً لمن يبني قصوراً
ليقضي عندها العمر القصيرا

* * *

(١) هذه القصيدة كتبتها بعد رحلة مدرسية قمت بها إلى مدينة تدمر.

ألا يا غاب ضُمِّيني[1]

عندما تسيطر النظرة الماديَّة على أبناء المجتمع، يتحولون إلى وحوش كاسرة تحكمُها شريعةٌ أسوأ من شريعة الغاب، فصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتنِ من شاهق إلى شاهق»[2].

ألا يـــا غـــابُ ضُمِّنـــي فليـس العيـش يُـرضينـي
وليـس الـوحـشُ تفضلـهُ رجـــالاتٌ بـــلا ديـــنِ

ألا يا غاب ضميني

رأيـتُ الأُنـسَ مهـزلـة كغـــاويـــة تنـــاديـنـــي
وإنســـاً بيـــن أعينهـــم عـــلامـــات الشيـــاطيـــن

ألا يا غاب ضُميني

---

(١) هذه القصيدة نظمتها أول مرة عام (١٩٨٠) ونحمد الله تعالى أن كثيراً من أخلاقنا الاجتماعية ماضيةٌ في طريقها نحو الأفضل.

(٢) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إذا أحسنت ينساني صديقٌ لي ويقليني
وإن أخطأت يذكرني ليجرحني ويكويني
ألا يا غاب ضميني
إذا أثريت يحسدني أخو جهل ليُرديني
وإن أَعْسَرت يشمتُ بي أخو سوء ليشقيني
ألا يا غاب ضميني
غدوت بهذه الدنيا بلا دين يُنجِّيني
ولا دينار يجنبني عداوات الملايين
ألا يا غاب ضميني

* * *

آكلُ الرِّبا

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

لقيتُه والربّا ينسابُ فيهِ ... يلوحُ بعينه الكسلى وفيهِ
فقلتُ له رويدك يا صديقي ... كأنَّك ضائعٌ في بطنِ تيهِ
تميدُ كنائمٍ يمشي بليلٍ ... أسُقمٌ أم نبيذٌ تحتسيه ؟
أذُلٌّ قد أصابكَ من لئيمٍ ؟ ... أم الفقرُ الذي لا ترتضيه ؟
فأدهشهُ كلامي واهتمامي ... وأقسم ما بهِ ما أرتئيهِ
فقلتُ له لعمرك ذاك ذنبٌ ... نراهُ ولا يبانُ لفاعليهِ

* * *

بائع اليانصيب

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

نادى بصوت يسحرُ الأرواحا ... «هيَّا تعالوا واطلبوا الأرباحا
جئنا إليكم بالغنائمِ والذي ... أغنى الفقير ومزَّق الأتراحا»
فأصاخ سمعاً ذو العيال وأوجست ... له نفسه: «ما قال ليس مزاحا»
وأتاهُ يدفعُ ما جناهُ لأهلِه ... رزقاً حلالاً ذاق منهُ جراحا
لكنَّهُ عضَّ الأناملَ عندما ... خسرَ النقودَ وما أصاب فلاحا
ولحمقِهِ ربحَ التَّجهمَ في السَّما ... والأرضُ أمست مأتماً ونُواحا
تبدو الحياة لذي جهلٍ مقامرةً ... لكنها للمتَّقين كفاحا

* * *

أمُّ الأطفال

قال رسول الله ﷺ: «رحم اللهُ رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[1] فأين نحنُ من قوله صلوات الله وسلامه عليه ؟!.

كانت زوجةَ كهلٍ[2] معدمْ ... منكوبٍ مستور الحال
جاءت بدراهمَ معدودة ... تقصد دكان البقَّال
بكم البندورة يا جاري ؟ ... بكم الباذنجن يا خال ؟
بكم الكوسا هل ترُخصها ؟ ... أطلُب شيئاً ليس بغالْ
فتأفَّف هذا واتسعت ... عيناهُ وحملقَ واختالْ
أخذ البقدونسَ من يدِها ... وتلوَّن واشتاطَ وقالْ:
ما أنتِ زبونٌ ذو خيرٍ ... فانصرفي عنِّي في الحالْ
عضَّتْ أنمُلها وانطلقت ... باكيةً «أمُّ الأطفال»

* * *

(١) رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه.

(٢) الكهل من تجاوز سن الشباب ولم يدخل في سن الشيخوخة.

شتاء في الزَّبداني[1]

قال رسول الله ﷺ: «.. فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنِّي أخشى أن تُبسط الدُّنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»[2].

مطـــرٌ مطـــرٌ تستقبلُـــهُ أبنيـــةُ البلـــدِ الحجـــريَّـــة
تبتـــلُّ بـــه كعشيقـــاتٍ فـــي حمَّـــامـــاتٍ سحـــريَّـــة
رائحـــة الصيـــف تُعـــانقهـــا سكـــرى مـــن إثـــم الصيفيَّـــة
أضحـــت جُنبـــاً لا تكفيهـــا كـــلُّ الأمطـــار الشتـــويَّـــة
قـــرميـــدُ الأسطحـــةِ الظمـــأى رعـــبٌ وشفـــاهٌ جنيَّـــة
ومـــداخنهـــا بسحـــائبهـــا أعقـــابُ سجـــائـــر غـــربيـــة
مطـــرٌ مطـــرٌ تستقبلُـــهُ أبنيـــةُ البلـــدِ الحجـــريَّـــة

* * *

(١) الزبداني مصيف قرب دمشق.

(٢) متفق عليه.

بناء المساجد

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩].

ولكنَّ عدم تدبرنا لقوله عز وجل أوصلنا إلى بَذَخٍ في بناء الحجر، وشُحٍّ في بناء البشر.

يا من دخلت إلى مساجدنا التي ... أضحت قصوراً تأخذُ الألبابا
إن كنت تهربُ من متاع زائل ... لتذيق أنفك ذلةً وتُرابا
قل لي بربِّك هل شعرت بلذَّةٍ[1] ... أو هل ذكرت قيامةً وحسابا

* * *

ليست شريعتنا مآذن عانقت ... سحب السماء وزينةً وقبابا
تدلي إلينا بالثريا والثرى ... سجَّادهُ قد جاوز الأبوابا
ما كان مسجد أحمد غير الذي ... عرشوا، جدارٌ حُمِّل الأخشابا

* * *

(١) هي لذة العبودية لله عز وجل.

يا من تشيدون المساجد للورى هـلا أشـدتـم نسـوة وشبـابـا
فذروا لفرعون الصُّروح وقلِّدوا خير الخلائق ينشىء الأصحابا
يا ويح شعب جدَّ في طلب العلى فبنى الصُّروح ليكسب الإعجابا

* * *

«في سوق الحميديَّة»

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

أريدُ أن أسير
في شارع هجير
خالٍ من الفجور
خالٍ من البشر
زهدت بالحضارة
وهذه النضارة
زهدت بالحضر
فيَ الأمس، في سوق الحميديَّة
أمامَ أقفاصٍ زجاجيَّة
رمانيَ القدرْ
لأنعم النظرْ
هناك حيث صنَّع الإنسان ما يشاءُ من تُحَفْ

وزغرد الترَّف
والمترفُ اغترف
هناك حيث شعشع الذهب
واللؤلؤ اغتصب
عيون طفلات سريعات الغضب
يا نفس هل أضلَّك المتاع ؟
حياتُنا خداعْ . .
لا تعرِفُ الشبعْ
أريدُ أن أسير
في شارع هجير
خالٍ من الفجور
خالٍ من البشر
* * *

فلسفة الغجر

تُرى هل هناك قاسمٌ مشتركٌ بين فلسفة الحضر وفلسفة الغجر ؟ ؟ هذا غجريٌّ يستيقظ من نومه متأخِّراً بينما تكون زوجته عائدة من وظيفتها المعتادة فيدور بينهما الحوار التالي :

ـ ماذا أحضرتِ لنا اليوما ... وعساكِ استجديتِ القوما
ـ أغربْ عن وجهي يا هذا ... لا أشبعك الله النَّوما
ـ ماذا يؤذيكِ أيا امرأة ... بوحي أو أعلنتُ الصَّوما
ـ رجُلٌ راودني عن نفسي ... فغرقت وما اسطعت العوما
ـ إنْ قُدَّ قميصُكِ من دُبرٍ ... لن يُسمعنا الغجرُ اللوما
نيرون[1] يُذمُّ بفعلته ... ولروما عزَّتها دوما

* * *

(١) نيرون: هو الطاغية الذي أحرق روما.

صدقة مذمومة

قال رسول الله ﷺ:

«لا تُصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ»[1].

عجباً لمن يغذو بماله فاسقاً
ولمن كسا رجُلاً تحدَّى الخالقا
ما ذاك إلا أحمقٌ أو جاهلٌ
أو كان ذا علمٍ فضلَّ فنافقا
إلا لمن ترجوا استمالة قلبهِ[2]
فادفع بمالك لن تكون المارقا

* * *

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) استمالة قلبه إلى الإيمان.

عرسٌ أم مأتم ؟

عن أنس رضي الله عنه قال: «ما رأيت رسول الله ﷺ أولم على امرأةٍ مِن نسائه ما أولم على زينب، فإنَّه ذبح شاة»[1] .

فما بالُنا هذه الأيَّام تُبذِّر في أعراسنا الأموال وتُهتك الأعراض وتُرتكبُ المنكرات ؟

هذا لعمري ليسَ عرساً إنَّما
هو مأتمٌ للعرضِ والأموالِ
فنساؤنا خسرت أعزَّ متاعها
وجيوبُنا أضحت بلا أقفالِ
ما أجهلَ الإنسانَ حين تقوده
أهواؤهُ لمواطنِ الإذلالِ

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم.

مأتمٌ ومغرم

قالَ رسول الله ﷺ عندما توفِّي عمُّهُ جعفر:

«اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم ما يشغلهم»[1].

فما أجمل أن يقدِّم الأقرباء أو الجيرانُ إلى ذوي الفقيد طعاماً متواضعاً يوم وفاة فقيدهم. ولكنَّ عدم تدبُّر السنة النبوية يقودنا إلى أحد أمرين: إسراف أو تقتير.

دفنوا الفقيد ونظَّموا الأطباقا
وكأنَّ ما في الدارِ ليس فراقا
قد كان يشغل ذا الفقيد فقيدُهُ
فإذا بهِ قد حُمِّل الإنفاقا
ما تلك سنَّةُ أحمدٍ يا إخوتي
عودوا إليه ووسِّعوا الآفاقا[2]

* * *

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم وهو صحيح.

(٢) هذ القطعة وسابقتها ألقيتهما في خطبة منبرية، وبهما تمَّ الكتاب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

ياقادة الغرب ٨
مدينة تدمر ٩
ألا ياغاب ضُمِّيني ١٠
آكلُ الرِّبا ١٢
بائع اليانصيب ١٣
أم الأطفال ١٤
شتاء في الزبداني ١٥
بناء المساجد ١٦
في سوق الحميدية ١٨
فلسفة الغجر ٢٠
صدقة مذمومة ٢١
عرس أم مأتم؟ ٢٢
مأتم ومغرم ٢٣
الفهرس ٢٤

* * *